

الفصل الثالث

القيم التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف

ويشتمل على:

أولاً: قيمة الإخلاص.

ثانياً: قيمة المسارعة في فعل الخير.

ثالثاً: قيمة الكرم.

رابعاً: قيمة بر الوالدين.

خامساً: قيمة صلة الرحم.

سادساً: قيمة تعليم العلم ونشره.

سابعاً: قيمة الحث على العمل.

الفصل الثالث

القيم التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف

تمهيد

يتناول هذا الفصل عرض نتائج الدراسة من خلال الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة وهو: (ما القيم التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف؟).

للقيم أهميتها البالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، وبها تتشكل العلاقات، ولكل مجتمع قيمه التي يتحاكم إليها ويتعامل بها، ولا شك أن هناك قيمًا تتفق على حسنها المجتمعات أيًا كانت دياناتها، أو توجهاتها، كقيم العدل والأمانة والصدق والوفاء والرحمة وغيرها.

وأفاد الحميد (١٤٣٨هـ، ص ٣٣): أن القيم تختلف باختلاف مصادرها، ووجهة نظر كل مجتمع، فالإسلام يستمد قيمه من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

قبل البدء في استنباط القيم التربوية من أحاديث الوقف يحسن التعرّيج على أمر مهم وهو: (الخطوات المنهجية في استنباط القيم التربوية) حيث ذكر خطاطبة (٢٠١٦م، ص ١٤) أن عملية استنباط المضامين التربوية كالقيم التربوية - من الأحاديث النبوية هي عملية منظمة تتكون من أربع خطوات وهي:

١. تقديم وإحضار النص المراد الاستنباط منه.

٢. التأكد من صحة هذا النص.

٣. الشرح العلمي لهذا النص، وبيان معاني مفرداته.

٤. القيام بعملية الاستنباط لأخذ المضمون التربوي من هذا النص.

وأشار العيسى (٢٠١٢م، ص ١٢٦٢) إلى أهمية العناية بضوابط الاستنباط في التربية الإسلامية، وأن من هذه الضوابط ما يتعلق بمن يستنبط وهو الباحث، ومنها ما يتعلق بموضوع الاستنباط، ومنها ما يتعلق بمنهج الاستنباط.

وأكد العيسى (٢٠١٢م، ص١٢٦٣) على أهمية تحديد مفهوم المضمون المراد البحث فيه، والتأكد من كونه داخلاً في مفهوم التربية أو لا، كما أشار إلى أهمية فهم النص الشرعي فهماً صحيحاً على ضوء فهم السلف، وحذر من تحميل النصوص ما لا تحمل من المضامين التربوية.

وقد قام الباحث بجمع أحاديث الوقف من كتب السنة، كما قام باستعراض أغلب الكتب المفردة المتعلقة بباب الوقف، وبالأخص الكتب التي جمعت أحاديث الوقف ومن ثم قام الباحث بتدوينها في مدونة خاصة كي يسهل الرجوع إليها، واستنباط المضامين التربوية منها، وفق أصول وضوابط الاستنباط التي تمت الإشارة إليها.

وقد وقف الباحث على قيم جليلة في أحاديث الوقف، وسيتم استعراضها بشيء من التفصيل - إن شاء الله - كما سيتم تقديم عرض لمفهوم كل قيمة، وبيان التأصيل الشرعي لها من الكتاب والسنة، وما تضمنت من الأحاديث الدالة عليها في موضوع الوقف، مع شرحها وبيان ما يترتب عليها من آثار تربوية.

وفيما يلي ذكر بعض القيم التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف:

أولاً: قيمة الإخلاص

الإخلاص لله ﷻ شرط لقبول العمل الصالح، وهو من القيم المهمة في التربية الإسلامية، فالله ﷻ خلق الخلق لأجل إخلاص العبادة له وحده، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس ؓ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً. (ابن كثير، ١٤١٩هـ، ٣٩٦/٧).

كما أن الإخلاص من أول الأوامر الإلهية وأهمها، قال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فالعمل بلا إخلاص مردود غير مقبول، وأشار القحطاني (١٤٢١هـ، ص ٩) إلى أن الإخلاص هو روح عمل المسلم، فمن دونه يصبح عمله هباء منثوراً، كما أنه من أهم أعمال القلوب.

مفهوم الإخلاص:

تعريف الإخلاص في اللغة:

مأخوذة من مادة خَلَصَ التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه، يقول الأصفهاني (١٤١٢هـ، ص ٢٩٢): "الخالص كالصافي، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال: "خَلَصْتُهُ فَخَلَصَ".

وبين الرازي (١٩٩٧، ص ٨٧) أن معنى خَلَصَ الشيء أي: صار خالصاً، وخلص إلى الشيء، أي: وصل إليه، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء.

تعريف الإخلاص في الاصطلاح:

الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي.

قال ابن القيم (١٤١٩هـ، ٧٠/٢) "وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق".

وأشار ابن القيم كذلك (١٤١٩هـ، ٧٠/٢) إلى أهمية الإخلاص، وأنه تصفية القلب من كل ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، كطلب التزين في قلوب الخلق، أو طلب مدحهم، أو الهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، ونحو ذلك مما يفسد الإخلاص ويحبط العمل.

الإخلاص في أحاديث الوقف:

تكررت الإشارة إلى قيمة الإخلاص في أحاديث الوقف، مما يؤكد على أهمية هذه القيمة في بذل المال، وأن يكون ذلك خالصاً لله ﷻ لا تشوبه شائبة، وقد أكد القرآن الكريم على هذه القيمة العظيمة وبالأخص في باب الإنفاق في سبيل الله ﷻ والصدقة وهو باب أوسع من باب الوقف.

لأهمية الإخلاص في الصدقة اقترن معها في أغلب الآيات القرآنية الحائثة عليها والمرغبة فيها، ومما يدل على هذه قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. الحميدي (١٤٣٧، ص ١٦).

ولذا فإنه يكثر في أحاديث الوقف الإشارة إلى هذا المعنى اللطيف، كما في حديث أنس رضي الله عنه الذي وردت فيه قصة بناء النبي ﷺ لمسجده أول نزوله للمدينة وأنه قال لملاك الأرض، وهم من بني النجار: «يَا بَنِي النَّجَارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قالوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنًا إِلَّا إِلَى اللَّهِ" [البخاري، (٣٩٣٢)، مسلم، (٥٢٤)]، وهم ﷺ ما قالوا ذلك إلا لتحقيق معنى الإخلاص في نفوسهم، وأنهم إنما بذلوا هذه الأرض لأجل بناء بيت الله ﷻ طيبة بما نفوسهم.

وفي هذا المعنى -أيضاً- الحديث المشهور في بيان أجر بناء المساجد ابتغاء وجه الله ﷻ، فعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ" [البخاري، (٤٥٠)، مسلم (٣٥٥)].

ولا شك أن بناء المساجد لله ﷻ من أعظم أعمال البر، ومن أجل صور الوقف في سبيل الله ﷻ.

ومن الإخلاص الصدق مع الله ﷻ، ومن ذلك صدق التوبة، كما في حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك- فأمر الرسول ﷺ المسلمين بمجرهم وعدم الكلام معهم، واستمر ذلك خمسين يوماً، حتى نزلت توبة الله عليهم في قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [التوبة: ١١٨]، فحقق كعب

بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إخلاصه وصدق توبته في هذه الحديث بالوقف في سبيل الله، حيث قال ﷻ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ ﷻ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي يَخْتِيرُ. [البخاري، (٤٤١٨)]، وقد جاء في الحديث قول الرسول ﷻ: "وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ" [مسلم، (٢٢٣)].

قال ابن رجب (١٤٢٤هـ، ٦٤٧/٢): وأما الصدقة، فهي برهان، على صحة الإيمان، وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه؛ وسبب هذا أن المال تحبه النفوس وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله ﷻ دل ذلك على صحة إيمانها بالله ووعده ووعيده.

ومن صور الإخلاص في الوقف بذل المال خالصاً في سبيل الله ﷻ ولإعلاء كلمة الله

ﷺ بالجهاد في سبيله والدعوة إليه والمنافحة عن دينه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِّيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبْعَهُ وَرِيَّةَ وَرَوْنَةَ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البخاري، (٢٨٥٣)] فبين ﷺ الحامل لمن احتبس (أي أوقف) فرسا في سبيل الله ﷻ، وأن الحامل له على ذلك هو الإخلاص لله ﷻ والإيمان به والتصديق بوعده وجزائه، ثم بين ﷺ عظم أجر هذا الواقف المحتسب.

وفي شأن الوقف على الجهاد في سبيل الله ﷻ حديث وقف خالد بن الوليد رضي الله عنه، والحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: "ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أذراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة ومثلها معها". [البخاري، (١٤٦٨)].

وفي هذا شهادة من النبي ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أوقف سلاحه وعتاده للجهاد في سبيل الله ﷻ، وأنه لم يرد بها إلا وجه الله ﷻ مخلصاً له في هذا العمل العظيم، الذي هو ذرة سنام الإسلام، وقد جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يُقَاتِلُ حِمَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِبَاءً، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال: "مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". [البخاري، (٧٤٥٨)، مسلم (١٩٠٤)].

كذلك ورد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» [مسلم، (١٨٩٢)]؛ وما كان ذلك إلا لأنه جعلها خالصة لله ﷻ وفي سبيله، وفي هذا توافق مع آية مضاعفة الصدقة وهي قول الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ

حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

ويستقى من هذا الحديث -أيضاً- معنى آخر من معاني الإخلاص في العمل وهو الإتقان والإحسان فإن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه أتقن وأحسن في وقفه وصدقته في سبيل الله ﷻ، وذلك يجعل هذه الناقة مخطومة، أي: معدة للاستخدام بزمائها وخطامها، وقد جاء في فضل إتقان العمل حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" [السلسلة الصحيحة للألباني، (١١١٣)].

كما أن حب إتقان العمل وبذل الغالي والنفيس في الوقف في سبيل الله ﷻ دفع بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى بذل أنفس وأحب أموالهم إليهم، كما جاء في حديث وقف عمر رضي الله عنه أنه قال: "يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: "إن شئت حبست أصلها وتصدق بها"، فتصدق بها عمر رضي الله عنه، وكذلك جاء في قصة وقف أبي طلحة رضي الله عنه وأنه قال: "وَأَنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءٌ، وَإِذَا صَدَقْتُ لِلَّهِ، أَزْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ" [البخاري، (٢٣١٨)، مسلم (٩٩٨)].

الآثار التربوية لقيمة الإخلاص في الوقف في سبيل الله:

للإخلاص في سبيل الله ﷻ دوره في تزكية النفوس وتطهيرها من شوائب الدنيا، التي تفسد قيمة العمل وتذهب أجره كالرياء والسمعة، وحب الجاه، وحب الثناء والمدح وإطلاع الناس على الأعمال، ونحو ذلك.

إن الإخلاص لله ﷻ هو ما يميز العمل الصالح عند المسلمين الموحدين، بخلاف ما عليه المشركون، فإنهم لا يرجون ما عند الله ﷻ بأعمالهم، لأنهم لا يؤمنون بالله تعالى، وإنما يريدون بها حظاً من الدنيا، وفي ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن عبد الله بن جُدعان كان في الجاهلية يقرى الضيف ويفك العاني

ويصلُ الرحمَ ويُحسِّنُ الجوارَ وأُثْنِيتُ عليه فهل ينفعُهُ ذلك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "لا إنه لم يُقَلْ يوماً قطُّ ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين" [صحيح ابن حبان، (٣٣٠)]، ولكن الله العدل ﷻ يجازي أمثال هؤلاء في الدنيا بالذكر الحسن وثناء الناس عليهم ونحو ذلك، كما قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [هود: ١٥].

ولعل من أبرز الآثار التربوية لقيمة الإخلاص لله ﷻ ما يلي:

١. تربية الناشئة على مراقبة الله ﷻ، ويزرع في نفوسهم الخوف منه ﷻ وتعظيمه ومحبته، مما يعين على الاستقامة على دينه والتضحية في سبيله، وهذا ما حمل أصحاب رسول الله ﷺ على بذل الغالي والنفيس في سبيل الله ﷻ، واستعداد ما ينالهم من أذى أو ضرر، ومن ذلك ما جاء عن خبيب بن عدي ﷺ حينما أراد المشركون قتله فطلب أن يمهل قليلاً ليصلي ركعتين، فلما صلى أنشد:
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
[البخاري، (٣٠٤٥)].
٢. إعانة المتربي على معرفة التوحيد وإفراد الله بالعبادة، واستنكار ما قد يراه المتربي من مخالفات مخلة بالإخلاص في المجتمع أو في وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي ونحو ذلك.
٣. أن الإخلاص يبعث المنفق لماله في سبيل الله ﷻ - سواء بالصدقة العامة أو بالوقف - على إخفاء ما يتفقه والإسرار به وعدم إعلانه، وذلك بأن يجعله بينه وبين الله ﷻ، وهو أدعى لقبول العمل وعظم الثواب، كما قال ﷺ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْنُوهَا أَفْقرَاءَ

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٧١]. وقد أشار ابن عثيمين (١٤٢٣هـ، ٣/٣٥٨) إلى أن إخفاء الصدقة أفضل من إبدائها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص وأستر للمتصدق عليه، إلا أن يكون في إبدائها دفع ملامة عن المتصدق أو غير ذلك من المصالح، فإبدائها في هذه الحالة أفضل.

٤. أن الإخلاص يسوق المترقي إلى الحذر من الرياء بالصدقة أو الوقف في سبيل الله ﷻ أو المن والأذى فيهما، فإن ذلك مما يحبط الأجر والثواب، كما قال ﷻ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤]. قال ابن كثير (١٤٢١هـ، ص ١٩٠): أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من رأى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجهه الله ﷻ، وإنما قصده مدحة الناس له وشهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس أو يقال بأنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية. وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷻ أن رسول الله ﷺ قال في ذكر أول من تسعر بهم النار يوم القيامة والعياذ بالله ومنهم رجلٌ وسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكنك فعلتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ [مسلم، (١٩٠٥)]، وما استحق هذا العذاب إلا لفوات الإخلاص في الإنفاق في سبيل الله ﷻ.

٥. تزكية النفس وتطهيرها من الشُّح والبخل والإمساك، كما قال ﷺ: ﴿ خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ [التوبة: ١٠٣]، قال السعدي (١٤٢٤هـ،

ص ٣٢٨): تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرديئة وتزكّهم، أي: تنمّهم وتزيد في أخلاقهم الحسنة وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي وتنمي أموالهم.

٦. أن إخلاص العبد في الإنفاق يبعث في القلب الطمأنينة وانشرح الصدر؛ لأنه

يعلم بإحاطة علم الله ﷻ بأية صدقة أنفقها حتى وإن كانت قليلة، فلا يدري

المؤمن بأي عمل يدخل الجنة، وذكر ابن عثيمين (١٤٢٣هـ، ٣/٣٥٥) أن

الإنفاق قليلة وكثيره يثاب عليه المرء، وأنه ينبغي عليه إذا أنفق نفقة أن يحتسب

الأجر على الله، لعموم علم الله ﷻ بكل ما ينفقه، كما قال ﷺ: ﴿ وَمَا

أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ويفهم مما سبق أن للإخلاص في الوقف في سبيل الله آثار طيبة:

منها: ما يعود على المنفق من البركة وسعة الرزق وطمأنينة القلب وانشرح الصدر.

ومنها: ما يعود على المنفق عليه من إعفاف وإغناء عن سؤال المال، وتطبيب

للخاطر، وإذهاب للغل والحقد عن نفسه.

ومنها: ما يعود على العين الموقوفة من البركة وتعظيم الأثر.

ومنها: ما يعود على المجتمع من ترابط وتآلف واجتماع ومحبة، وكل ذلك مرده على

صلاح المقصد وحسن النية وإرادة وجه الله ﷻ، كما أن من أجل آثار الإخلاص رضا

الله ﷻ والفوز بجنّته ورضوانه والعق من نيرانه.

ثانيًا: قيمة المسارعة في فعل الخير

دين الإسلام دين يرغب في المسارعة والمبادرة إلى فعل الخير، ويدكي روح المنافسة في أعمال المعروف والبر والإحسان، والمبادرة قيمة تربوية جليلة تنم عن عزيمة ورغبة في العمل وحب له وانتماء إليه، ومتى ما تحققت هذه الخصلة الحميدة في المتربي فإنها ستكون سائقة له نحو معالي الأمور وساميتها، وقد جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سُفْسَافَهَا" [صحيح الجامع، (١٣٠٠)].

مفهوم قيمة المسارعة في فعل الخير:

المسارعة في اللغة:

من السرعة والإسراع، وهي المبادرة في العمل قال الرازي (١٩٩٧م، ص ١٣٥) السرعة ضد البطء، والمسارعة: إلى الشيء المبادرة إليه.

المسارعة في الاصطلاح:

قال الشنقيطي (١٤٢٦هـ، ص ٢٤٦): المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات.

ويشمل ذلك جميع القربات من العبادات القلبية كمحبة الله وتعظيمه، والعبادات المالية كالصدقات والأوقاف وكفالة الأيتام، والعبادات البدنية كالصوم والحج والجهاد في سبيل الله.

المسارعة في فعل الخيرات في أحاديث الوقف:

أمر الله ﷻ المؤمنين الصالحين بالمسارعة إلى الصالحات والمسابقة في عمل الخيرات، قال ﷺ: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ووصف ﷻ

المؤمنين المتقين بأنهم هم الذين يسارعون في الخيرات ويتسابقون إلى فعلها، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠-٦١].

وحدث النبي ﷺ على المبادرة والمصارعة في عمل الخير قبل أن تتغير النفوس وتقلب القلوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسَى كَافِرًا وَيَمْسَى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". [أخرجه أحمد ٣٠٣/٢ (٨٠١٧) ومسلم ١/٧٦].

وتكرر ورود ما يدل على قيمة المصارعة في الخيرات في أحاديث الوقف، ومن ذلك قصة وقف أبي طلحة ؓ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْزَحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْزَحَاءَ، وَإِذَا هِيَ صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ يَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ [البخاري (٢٣١٨)، مسلم (٩٩٨)].

ففي هذه القصة العظيمة تتجلى مسارعة أبي طلحة ؓ إلى فعل الخير ومبادرته إلى الوقف في سبيل الله ﷻ، وتصدقه بهذا البستان، وهو أحب أمواله إليه، وامتناله لأمر ربه لما سمع قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وذكر القدومي (١٤٣٦هـ، ص ١١٣) أن الوقف مما يدخل في نيل البر، بدليل أن أبا طلحة عليه السلام لما سمع الآية الكريمة بادر إلى وقف أحب أمواله إليه وهي بيرحاء، فدلّ على مشروعية الوقف.

ومما ورد أيضًا في المسارعة إلى الوقف في سبيل الله عليه السلام ما رواه عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، قال أبو الدحداح الأنصاري عليه السلام: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال عليه السلام: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، قال ابن مسعود عليه السلام: وحائطه له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنأدى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي، وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي عليه السلام: «كم من عذق رباح في الجنة لأبي الدحداح»، وجاء في بعض الروايات أنه قال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، ربح البيع، أو كلمة تشبهها. وأصل القصة في صحيح مسلم، وفيه قول النبي عليه السلام: «كم من عذق مدلى في الجنة لأبي الدحداح» [مسلم، (٩٦٥)].

ويستقى من هذا الحديث مبادرة أبي الدحداح عليه السلام إلى الوقف في سبيل الله ومسارعته إليه طمعًا في ثواب الله، وقد سمى الله الإنفاق في سبيله إقراضًا له جل في علاه، قال ابن كثير (١٤٢١هـ، ص ١٣٦٥): كل من أنفق في سبيل الله عليه السلام بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية؛ ولهذا قال عليه السلام: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعِفَهُ لَهُ﴾ [الحديد: ١١]، كما قال عليه السلام في الآية الأخرى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] أي: جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة.

وفي الحديث لفظة تربوية جلييلة، وهي التوافق بين أبي الدحداح وزوجه في الإنفاق وبذل الوقف في سبيل الله وتشجيعها له بقولها ربح السعر، ومبادرتها ﷺ إلى إخراج ما في أكمام أولادها وأفواههم من ثمرة هذا الحائط، فرضي الله عن أبي الدحداح وعن أم الدحداح.

ومن الأحاديث الدالة على المبادرة بالوقف في سبيل الله ﷺ ما قام به الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ فعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان ﷺ فقال: اتوني بصاحبكم الذين ألباكم عليّ قال: فجيء بهما فكأتهما جملان أو كأتهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان ﷺ فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: "من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة"، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة" فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا اللهم نعم، ثم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارتها بالخضيض قال: فركضه برجله وقال: "اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان"؟ قالوا اللهم نعم، قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثاً. [صحيح الترمذي (٣٧٠٣)].

وفي هذه الحديث العظيم بيان لفضيلة هذا الصحابي الجليل ﷺ ومبادرته إلى فعل الخير والوقف في سبيل الله ﷺ، استجابة لله ولرسوله ﷺ، ونلاحظ التعبير في قوله ﷺ "فاشتريتها" مرتين مرة للبئر ومرة للبقعة التي زيدت في المسجد، والفاء في قوله "فاشتريتها"

الفصل الثالث: القيم التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف

تفيد التعقيب المباشر، وهو ما يدل على المبادرة والمسارة منه ﷺ، لهذا الفعل الجليل، حيث إن مما أوقفه ﷺ حفر بئر رومة والتوسعة في المسجد النبوي وأعمال أخرى جلية كتجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك وجمع القرآن ونحو ذلك من الأعمال، ثم ختمت حياته ﷺ بالشهادة في سبيل الله، وبين يديه كتاب الله ﷺ.

وذكر عطوة (١٤٣٤ هـ، ص ٥٧) أن عثمان ﷺ وبعد أن عاش حياته بذلاً في سبيل الله ﷺ وتضحية لإعلاء كلمته وسيراً على دروب المصطفى رسول الله ﷺ قُتل شهيداً فرضي الله عنه وأرضاه.

الآثار التربوية لقيمة المسارة في فعل الخير:

قيمة المسارة في فعل الخير قيمة جلية وعظيمة، وتدّل على الإقبال على الله ﷺ، ورجاء ما عنده والتصديق بوعده والاستجابة له، كما قال الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ومن أبرز آثار هذه القيمة الجليلة ما يلي:

١. حياة القلب واستجابته لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، كما هو حال أصحاب محمد ﷺ بمشاركتهم في صنوف المعروف والبر والإحسان ومسابقتهم إليها.
٢. نبذ الكسل والخمول، وترك الدعة والراحة وتعويد النفس على أن تكون متأهبة لطاعة الله ﷺ، منقادة لأمر رسوله ﷺ، مبادرة إلى الطاعات والقربات.
- وذكر العمر (١٤٣٤ هـ، ص ٣١٧) أن القرآن الكريم خلّد صوراً للمبادرات ومواطن السبق لتربي في الأجيال المسلمة حب المبادرة إلى الأعمال النافذة.
٣. التربية على اقتناص الفرص واغتنام الأجور وتحصيل الحسنات فإن الإنسان لا يدري ما يعرض له من فتن أو تقلبات في الحال، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل

مؤمنًا ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا". [سبق تحريجه].

٤. تربية النفس على التنوع في الأعمال الصالحة بشتى أنواعها سواء كانت عبادات مالية كالصدقات والأوقاف أو عبادات بدنية كالصلاة والصيام والحج والعمرة وغيرها، وأشار العمر (١٤٣٤هـ، ص ٣١٩) إلى أن المبادرات متنوعة، وفي القرآن الكريم مبادرات شتى ليست سواء، ولا ينبغي للمسلم أن يحتقر المبادرة، ولو إلى فضل قليل، فإن البدار يعظمه، فللسبق مزيته وللأولوية فضلها.

٥. بث روح التنافس على الخير بين المتربين من خلال القدوة في فعل الخير، فيكون المسلم بذلك أسوة لغيره، فينال مثل أجورهم، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "تصدق رجل من ديناره، من درهما، من ثوبه، من صاع برّ، من شعيرة، من صاع تمره حتى قال: ولا يحقرن أحدكم شيئاً من الصدقة، ولو بشق تمر، فأبطؤوا حتى بان في وجهه الغضب، قال فجاء رجل من الأنصار بصرّة من ورق (وفي رواية: من ذهب) كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت فناولها رسول الله ﷺ وهو على منبره فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله فقبضها رسول الله ﷺ، ثم قام أبو بكر فأعطى، ثم قام عمر فأعطى، ثم قام المهاجرون والأنصار فأعطوا، ثم تتابع الناس في الصدقات فمن ذي دينار، ومن ذي درهم، ومن ذي ومن ذي، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مذهب، فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، ومثل أجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سيئة، كان عليه وزرها، ومثل وزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَنَكَتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، [مسلم، (١٠١٧)].

ثالثاً: قيمة الكرم

وصف الله ﷻ نفسه بصفة الكرم، وتسمى بها فهو الكريم ﷻ، ووصف بها كتابه القرآن العظيم فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٨].

وخلّد القرآن الكريم ذكر أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ حينما أكرم ملائكته فقال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْهِ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٦]. وكيف أكرمهم عليه السلام وهو لم يعرفهم؟

إن صفة الكرم صفة عظيمة وكرمة من صفات العرب قبل الإسلام، فجاء الإسلام فهدى وعززها، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [السلسلة الصحيحة، (٤٥)].

مفهوم قيمة الكرم:

في اللغة:

قال الرازي (١٩٩٧م، ص ٢٤٩) الكرم بفتح الحاء ضد اللوم.

في الاصطلاح:

قال الجرجاني: (١٤١٣هـ، ص ٢٣٦) الكرم: هو الإعطاء بسهولة. والكرم والجود والسخاء بمعاني متقاربة، ويؤخذ مما سبق أن مرد هذه القيمة الجليلة على كرم النفس وطيبها وتقديمها للمعروف سواء كان مادياً كالأموال وإكرام الأضياف ونحو ذلك، أو كان معنوياً كسماحة النفس والتغاضي عن الأذى ونحو ذلك.

قيمة الكرم في أحاديث الوقف:

بذل المال بالصدقة المتطوعة سواء في الصدقات العامة أو الأوقاف لا يخرج إلا من نفس طيبة كريمة، آثرت الباقية (الآخرة) على الفانية (الدنيا) فالكرم يعث على بذل

المعروف وإسدائه لجميع الناس، فإذا وافق ذلك حاجة كان أدعى للمسارعة إليه والسبق فيه، وعلى ذلك فإن جميع أحاديث الوقف تصلح شاهدة على هذه القيمة العظيمة والصفة النبيلة.

كما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية ما يشير إلى أن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ﷺ من الكرم والجود، وأن الإمساك عن الصدقة من البخل قال الله ﷻ: ﴿هَآئِنُمۡ هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفۡقُوۡا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ فَمِنكُمۡ مَّنۡ يَّبۡخُلُ وَمَنۡ يَّبۡخُلۡ فَاِنَّهٗٓ يَخۡلُ عَنۡ نَّفۡسِهٖۚ وَاللّٰهُ اَلۡغَنِىۚ وَاِنَّكُمۡ اَلۡفُقَرَاءُ ۚ وَاِنۡ تَوَلَّوۡا يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَیۡرَکُمۡ ثُمَّ لَا يَكُوۡنُوۡا اٰمَنًاۙ﴾ [محمد: ٣٨].

وأشار القرطبي (١٣٨، ص ٢٩١) إلى أن الله ﷻ يدعو المؤمنين إلى الإنفاق للجهاد وطريق الخير، فمنهم من يبخل على نفسه أي يمنعها الأجر والثواب. لقد سمى الله ﷻ في الآية السابقة ترك الإنفاق في سبيله بخلاً، وجاء في السنة النبوية ما يفيد هذا المعنى -أيضاً-، ففي صحيح البخاري أن أبا هريرة ؓ سمع رسول الله ﷺ يقول: "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّة من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت -أو وفرت- على جلده حتى تحفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع". [البخاري، (١٤٤٣)، مسلم، (١٠٢١)].

وأشار ابن حجر (١٤١٤هـ، ٦٠/٤) في شرح الحديث إلى قول الخطابي: والمراد أن الجواد إذا همَّ بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحَّت نفسه فضاق صدره وانقبضت يده.

ولقد كان رسولنا ﷺ مضرب المثل في الجود والكرم والعطاء، كما قال ابن عباس ؓ: "كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة" [البخاري، (١٩٠٢)، مسلم (٢٣٠٨)]،

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا" [مسلم، (٢٣١١)].

وأفاد الطواله (١٤٢٨ هـ، ص ٣٨) أن من مظاهر كرمه ﷺ أنه لا يبقى شيئاً عنده بل يوزعه ويقسمه على المحتاجين، وبهذا تتجلى آيات الكرم وعلامات السخاء فيه ﷺ.

ومما جاء في أحاديث الوقف الدالة على الكرم والجود حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: "ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة" [البخاري، (٢٧٣٨)] وجاء -أيضاً- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَفْقَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي، وَمُتُونَةِ عَامِلِي فَهَوَ صَدَقَةٌ». [البخاري، (٣٠٩٦)].

وهذا من صور كرمه ﷺ حتى إنه تجرد من ماله كله في سبيل الله ﷻ، فكان بذلك القدوة الحسنة لأصحابه رضي الله عنهم كما قال ﷺ: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ» [الأحزاب: ٢١].

ومما يشير إلى قيمة الكرم في أحاديث الوقف جعل إكرام الضيف أحد مصارف الأوقاف، كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: "فتصدق بها عمر أنها لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القرى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف" فلم ينس من كرمه ﷺ أن يجعل لضيفه من مصرف هذا الوقف المبارك.

ومما يشهد لهذه القيمة ما تكرر ذكره في أحاديث الوقف، وفي مصارف أوقاف النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهو الوقف على ابن السبيل وهو: المسافر الذي انقطعت به السبل، فعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك أرضاً جعلها لابن السبيل صدقة. [سبق تخريجه].

كما جاء في مصارف وقف عمر رضي الله عنه أن ينفق منه على ابن السبيل، وجاء كذلك في أوقاف غيره من الصحابة رضي الله عنهم وفي هذا شاهد على تأكيد هذه القيمة العظيمة وحرصهم عليها.

كما جاء حث النبي صلى الله عليه وسلم على بناء البيوت لأبناء السبيل من المسافرين، وأن ذلك من الوقف في سبيل الله، ومن العمل الصالح الذي يبقى للمسلم بعد موته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ تَحْرِيرَ أَجْرَاءَ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ». [صحيح الجامع، (٢٢٣١)، صحيح ابن ماجه (٢٠٠)].

وأشار القدومي (١٤٣٦هـ، ص ٦٠) إلى أن ابن السبيل في غاية الحاجة لأن يرمى وتوفر له الحاجات الضرورية؛ لذا جاءت العناية به في أحاديث الوقف.

وجاءت الإشارة في أحاديث الوقف إلى معنى تربوي جليل في ضبط قيمة الكرم حتى ولو كانت في الصدقة أو الوقف، ومفاده التوسط والاعتدال في الإنفاق، والموازنة بين الحقوق للأهل والأقربين وغيرهم.

ومن ذلك ما جاء في قصة وصية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما عاده الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مريض، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعُوذُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرْتُبُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِي مَالِي؟ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ» [البخاري، (١٢٩٥)].

كما جاء أيضا في توجيهه صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك رضي الله عنه لما أراد أن يوقف كل ماله فقال له صلى الله عليه وسلم: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي يَخْتَصِرُ [سبق تخريجه].

ويتجلى في هذه الأحاديث أهمية الاعتدال والتوسط في التعامل مع المال، حتى ولو كان ذلك في الإنفاق في سبيل الله ﷻ، ويشهد لذلك من القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله ﷻ في ثناءه على عباد الرحمن في باب الإنفاق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝﴾ [الفرقان: ٦٧].

وبين السعدي (١٤٢٤هـ، ص ٥٥٧) أن المراد بالإنفاق هنا: النفقات الواجبة والمستحبة، وأنهم يبدلون هذه الأموال فيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، من غير ضرر ولا ضرار، وهذا من عدلهم واقتصادهم.

وفي هذه الأحاديث تظهر شفقتة ﷻ بأمته ورحمته بهم، وأنه يوجه أصحابه إلى إمساك بعض المال والنفقة على العيال والتوسعة عليهم، وأن يغني المرء أهله عن الحاجة للناس، كما جاء في حديث سعد ﷻ قوله ﷻ: "إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَزْتَ بِهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلَ فِي فِي أَمْرَاتِكَ" [سبق تخريجه].

الآثار التربوية لقيمة الكرم:

لهذه القيمة العظيمة آثارها التربوية على الأفراد والمجتمعات، فبها تسموا الأنفس وتزكوا، وتترفع عن صفات الجشع والطمع والشح والبخل.

ومن الآثار التربوية لهذه القيمة العظيمة:

١. أن فيها تربية للنفس على الإيثار ومحبة الخير للغير، والإحسان إلى خلق الله ﷻ، مما يساهم في صفاء القلوب وصلاح العلاقات والتقارب والتآلف بين المؤمنين.

٢. أنها سبب في هداية الناس إلى الإسلام وتأليف قلوبهم وترغيبهم في الدين، جاء في حديث أنس رضي الله عنه: "أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة" ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" [مسلم، (٢٣١٢)].

٣. أن النفوس مجبولة على حب الدنيا والمال والتزود منه، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧﴾ [العاديات: ٦-٧]، قال ابن كثير (١٤٢١هـ، ص ١٥٢٦): أي وأنه لحب الخير وهو المال لشديد، وفيه مذهبان: أحدهما: وأنه لشديد المحبة للمال، والثاني: وأنه لحريص بخيل من محبة المال ثم قال: وكلاهما صحيح.

لذا كان من تربية النفس حملها على التخلق بأخلاق الكرام، وتعويدها على البذل والإحسان.

٤. حصول الجزاء العظيم عند الله، فالله ﷻ يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

٥. محبة الله تعالى للكرماء، فإن الكريم محبوب عند الله وعند خلقه، جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "إن الله كريمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا" [صحيح الجامع، (١٨٠٠)].

٦. أن قيمة الكرم أوسع وأشمل من الكرم بالمال والجود به، فهي دافعة للمسلم على الجود بنفسه ووقته وجاهه، وأفاد العمر (١٤٣٤هـ، ص ١٥٥) أن من صفات خليل الله إبراهيم عليه السلام الجود والكرم، وأنه جاد بنفسه فبذلها رخيصة لله، وجاد براحته ورفاهيته وإجمام نفسه في مصلحة الدعوة، وجاد بالعلم فبذله، وجاد بجاهه وشفاعته.

٧. أنها تكسب صاحبها راحة البال وانسراح الصدر وطيب النفس وزكاء الأخلاق، وعدم الميل إلى الدنيا أو الانكباب عليها، كما هو حال أهل الجشع والبخل والشح والطمع، وجاء في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة" [صحيح الجامع، (٦٥١٠)].

رابعاً: قيمة بر الوالدين

بر الوالدين عمل صالح وعبادة جليلة القدر عليّة الشأن، فالوالدان سبب وجود المرء، وأصل نشأته وهما أحق الناس بالصلة والإحسان، لما لهما من فضل في التربية والرعاية والعطف والحنان والإكرام والإحسان.

مفهوم قيمة بر الوالدين

البر:

ضد العقوق، وقد جاء في القرآن الكريم بيان المراد بالبر في قوله ﷺ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وعند تأمل هذه الآيات الكريمات نجد أن الله ﷻ أمر بالإحسان إليهما ونهى عن أذيتهما بأدنى أذية، حتى ولو كانت بأقل كلمة ككلمة "أف"، ثم نهى عن زجرهما، وأمر بأن يخاطبا الخطاب الكريم، وأن يتواضع لهما بالذل والرحمة والدعاء لهما، وهذا غاية ما يكون في الاحترام والإجلال والتقدير.

أفاد السعدي (١٤٢٤هـ، ص ٤٣٠) أن المراد ببر الوالدين: الإحسان إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلية؛ لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكيد الحق ووجوب البر.

قيمة بر الوالدين في أحاديث الوقف:

لعظم حق الوالدين فقد أولت لهما النصوص الشرعية من الكتاب والسنة عناية عظيمة، وتكرر الأمر بالإحسان إليهما في آيات كثيرة، ولعظم هذا الأمر؛ فإنه كثيراً ما يأتي مقروناً بعبادة الله وتوحيده.

وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وغيرها كثير.

كما زخرت كتب السنة بأحاديث كثيرة وعظيمة أكدت هذا المعنى:

ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: (أي العمل أحب إلى الله ﷻ؟ قال: الصلاة لوقتها). قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين). قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [أحمد، (١٠٧/٦)].

وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من بر والديه طوي له وزاد الله في عمره) [الجامع الصغير، (٨٥٤١)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب أن يمد الله في عمره، ويزيد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه) [صحيح الترغيب، (٢٤٨٨)].

وقد جاء التأكيد على هذا المعنى في أحاديث الوقف:

ومن ذلك الأحاديث الواردة في الوقف عن الوالدين والصدقة عنهما فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ ثُوْقِيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي ثُوْقِيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمُخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا [البخاري، (٢٧٦٢)].

والمرد بالحائط البستان الذي فيه نخل، فتصدق سعد رضي الله عنه بهذا البستان عن أمه رجاء أن ينالها أجر هذا الوقف في سبيل الله ﷻ، وهذا من أجل صور البر والوفاء.

وكذلك جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن سعدًا رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أمي ثوفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: "نعم، و عليك بالماء" [السلسلة الصحيحة، (٢٦١٥)].

وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم" [البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤)].

فدلّت هذه الأحاديث على مشروعية الصدقة، والوقف عن الوالدين، وأن ذلك من الإحسان إليهما، وهو سبب في رفعة درجاتهما وتكفير سيئتهما.

ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [سبق تخريجه].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: وذكر آخرها فقال "أو ترك ولدًا يستغفر له"). [صحيح الجامع، (٣٦٠٢)].

وجاء -أيضاً- "عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت وذكر منها "ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له" [سبق تخريجه].

حيث جاء التأكيد في هذه الأحاديث على عظم بر الوالدين والدعاء لهما، وأنه من العمل الصالح الذي لا ينقطع عن الإنسان بعد موته، وأنه من الصدقة الجارية التي يستمر ثوابها بعد موت الإنسان.

ويستقى -أيضاً- من هذه الأحاديث قيمة أخرى مرتبطة ببر الوالدين وهي إحسان التربية للأولاد من بنين وبنات، فكما أن الولد مأمور ببر والديه فإن على الوالدين واجب

تجاه أولادهم وهو حسن التربية والتوجيه، وجاء ذكر الصلاح في قوله ﷺ: "أو ولد صالح يدعو له"؛ لأنه إذا لم يكن صالحاً فلربما غفل عن الدعاء للوالدين أو قصر فيه.

الآثار التربوية لقيمة بر الوالدين:

هذه القيمة العظيمة آثارها التربوية الجليلة، ومن ذلك ما يلي:

١. استشعار المؤمن ما أعدّه الله لمن برّ والديه وأحسن إليهما وقام بواجبهما، ومن ذلك الحصول على رضا الله فقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: "رضا الله في رضا الوالدين" [صحيح ابن حبان، (٤٣٤)].
٢. أن فيها تهذيباً للنفس وتعويداً لها على مكافأة الإحسان بالإحسان؛ ولذا فإن الله ﷻ أمر بشكر الوالدين فقال ﷻ: ﴿... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يجزي ولد والديه إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما) [مسلم، (١٥١٠)]، وهذا مما يؤكد عظم حقهما؛ لذا كان من رد الجميل أن يوقف المرء لوالديه وقفاً سواءً ببناء مسجدٍ حفر بئرٍ أو بالمساهمة في وقفٍ لأعمال البر والإحسان.
٣. أن يعلم المسلم أنه مهما بذل من الإحسان فلن يفي بحق الوالدين، ولن يجازيهما على ما بذلا من الإحسان والمعروف، وأورد ابن الجوزي (٢٠١٠م، ص ١٠) عن زرعة بن إبراهيم أن رجلاً أتى عمر ؓ فقال: إن لي أمّاً بلغ بها الكبر، وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها، وأوضعها، وأصرف وجهي عنها، فهل أدبت حقها؟ قال: لا، قال: أليس قد حملتها على ظهري، وجبست نفسي عليها؟ قال: (إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تتمنى فراقها).

٤. أن ينال البارّ لوالديه برّ أولاده له، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم" [المنذري، (٢٩٤/٣)]، فتواب البر معجل في الدنيا قبل الآخرة.

٥. أن بر الوالدين سبب للبعد عن كبيرة من الكبائر وهي عقوق الوالدين أو معصيتهما، فقد جاء التحذير الشديد من ذلك، فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشرāk بالله، وعقوق الوالدين" [البخاري، (٦٢٧٣)، مسلم، (٨٧)]، كما أن عقوبة العقوق معجلة في الدنيا قبل الآخرة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس شيء أطيع الله تعالى فيه أعجل ثوابًا من صلّة الرحم، وليس شيء أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم" [صحيح الجامع، (٥٣٩١)].

٦. من الآثار التربوية لقيمة بر الوالدين أن يحرص المسلم على أن يتعلم صور البر وأنواعه وأساليبه، كي يمثّلها ويعمل بها، وقد أشار ابن الجوزي (٢٠١٠م، ص ١٥) إلى بعض اللطائف في صور البر ومن ذلك: برهما بطاعتها فيما يأمران به ما لم يكن بمحظور، وتقديم أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهي عنه، والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع الولد صوته، ولا يحقد إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما.

وللسلف رضي الله عنهم في ذلك دقائق عجيبة ولطيفة تنبئ عن استشعار لهذه القيمة، فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزي (٢٠١٠م، ص ١٩) عن عمر بن ذر أنه لما مات ابنه قيل له: كيف كان بره بك؟ قال: ما مشي معي نهًا إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقد على سطح أنا تحته، وعن المعلّي بن أوب، قال:

سمعت المأمون يقول: لم أر أبتر من الفضل بن يحيى البرمكي بأبيه، بلغ من بره بأبيه أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار، وكانا في السجن معاً، فمنعهما السجن من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم (إناء) كان بالسجن، فملأه بالماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح، وحكى غير المأمون أن السجن فطن لارتفاعه بالمصباح في تسخين الماء، فمنعه من الاستصباح في الليلة القابلة، فعمد الفضل إلى القمقم مملوءاً، فأخذه معه في فراشه وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء. وفي هذه المواقف تربية للناشئة على توخي سبل البر، والسعي للتنافس في هذا الميدان العظيم الذي هو أوسط أبواب الجنة.

٧. من الآثار التربوية لقيمة بر الوالدين أن يتعرف المسلم - كذلك - على صور عقوق الوالدين كي يجتنبها ويحذرهما ويحذر منها.

وقد كان للسلف الصالح ﷺ دقائق ولطائف عجيبة في الحذر من عقوق الوالدين مستشعرين قول الله ﷻ: ﴿... فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَهْزُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومما ورد عن السلف في ذلك ما أورده ابن الجوزي (٢٠١٠م، ص ٢١) عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (إبكاء الوالدين من العقوق) وعن عمر بن الزبير، قال: (ما برّ أبويه من أحدٍ النظر إليهما) وعن محمد بن سيرين، قال: (من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي يحيط الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت) وعن مجاهد، قال: (لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده إذا ضربه، ومن شدّ النظر إلى والديه لم يبرهما، ومن أدخل عليهما ما يحزنها فقد عقهما) وقال الحسن البصري: (منتهى القطيعة أن يجالس الرجل



أباه عند السلطان) وقال فرقد: قرأت في بعض الكتب: (ما بر ولد حدّ بصره إلى والديه، وإن النظر إليهما عبادة، ولا ينبغي للولد أن يمشي بين يدي والده ولا يتكلم إذا شهد، ولا يمشي عن يمينهما، ولا عن يسارهما، إلا أن يدعواه فيجيئهما، أو يأمرهما فيطيعهما، ولكن يمشي خلفهما كالعبد الذليل).

وتتجلى في هذه التوجيهات وهذه المواقف التربوية من السلف الصالح عناية الإسلام بهذه القيمة، لما للوالدين من عظيم الحق والقدر.

وهذا يوجب على الأولاد من بنين وبنات مزيد الإحسان والبر بالوالدين، وخفض الجناح لهما، والاجتهاد في المبادرة إلى ما يحبانه، واجتناب ما يكرهانه.

خامساً: قيمة صلة الرحم

الرحم معلقة بعرش الرحمن، والله ﷻ أمر بصلتها وحرم قطيعتها، ولو لم يدلّ الشرع المطهر على صلة الرحم لدلت عليها الفطر السليمة والطبائع الكريمة والشيم المرضية، وصلة الأرحام من أعظم أسباب التآلف وحصول المحبة وتحقيق معاني الاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف والقطيعة.

صلة الرحم في اللغة:

صلة من الوصل قال الرازي: (١٩٩٧م، ٣١٦) الوصل: ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم والتقاطع.

والرحم مشتقة من الرحمة، قال الجرجاني (١٤١٣هـ، ص ١٤٦) هي إرادة إيصال الخير، وقال الرازي الرأفة والتعطف، والرحم القرابة (١٩٩٧م، ص ١١٠).

في الاصطلاح:

قال القحطاني (١٤٢٦هـ، ص ٧) صلة الرحم: الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، وتارة بالسلام، وتارة بطلاقة الوجه، وتارة بالنصح، وتارة برد الظلم، وتارة بالعفو والصفح، وغير ذلك من أنواع الصلة على حسب القدرة والحاجة والمصلحة.

قال القرطبي (١٩٨٤م، ٧/٥) في تفسير معنى الأرحام في قوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]: الرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره.

وبين القحطاني (١٤٢٦هـ، ص ٢٨) أن الرحم التي أمر بصلتها هي: كل ما يرتبط بقرابة سواء كانت من الأصول كالآباء والأمهات وإن علو، والفروع وإن نزلوا، والخواشي من الإخوة والأعمام والعمات والأخوات والأخوال والخالات.

قيمة صلة الرحم في أحاديث الوقف:

صلة الرحم باب عظيم من أبواب الخير رغبت فيه الشريعة الإسلامية، وحثت عليه، فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

قال ابن كثير: (١٤٢١هـ، ص ٢٧١) واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها قاله ابن عباس وغيره.

وقال ﷻ: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۝٦١﴾ [الأحزاب: ٦].

ومما جاء في تحريم قطيعة الرحم في كتاب الله قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢].

كما وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تبين شيئا من فضائل صلة الرحم، وتحذر من قطيعتها، فعن أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسُطَّ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُسَأَّلَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" [البخاري، (٥٩٨٦)، مسلم (٢٥٥٧)].

وصلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري ؓ: "أَنْ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا يَقْرَبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"، [البخاري، (٥٩٨٣)، مسلم (١٣)]، وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ

الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: "نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟" قالت: بلى قال: "فذاك لك: ثم قال رسول الله ﷺ: "اقرأ إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۖ﴾" [محمد: ٢٢-٢٣]. [مسلم، (٢٥٥٤)].

كما أكدت أحاديث الوقف على عظم شأن صلة الأرحام والإحسان إليهم، ومن ذلك ما رواه عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ سَبْعَ حِطَّانٍ لَهُ بِالْمَدِينَةِ صَدَقَةً عَلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَنِي هَاشِمٍ [سبق تخريجه]، فخص بها أقاربه ﷺ.

كما تكرر ذكر ذوي القرى في وقفيات الصحابة رضي الله عنهم، كما في حديث وقف عمر رضي الله عنه حيث ذكر القرى في مصارف وقفه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ، فَصَدَقْتُهُ تِلْكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلِذِي الْقُرْبَى".

وكذلك في حديث أبي طلحة عندما استشار النبي ﷺ في وقفه لمزرعته المسماة "ببرحاء" حيث قام أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۖ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ زَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ زَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ [سبق تخريجه].

الآثار التربوية لقيمة صلة الرحم:

لقيمة صلة الرحم آثار تربوية كبيرة فمن ذلك:

١. أنه سبب موصل لبر الوالدين، حيث إن هذه الرحم لم تكن إلا بسبب الوالدين، لذا جاء في الحديث عن أبي أسيد مالك بن ربيعة رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من برِّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال: "نعم الصلابة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلته الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما" [المنذري (٢٩٨/٣)].

٢. أنها تربي المسلم على الإحسان إلى القربات والتودد لهم والتغاضي عن أخطاءهم والصفح عنهم، وجاء في الحديث ما يبين أن الواصل للرحم هو من تغلب على حظوظ نفسه وأحسن إلى أقاربه وإن كانوا يسيئون إليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويؤسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ فقال ﷺ: "لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك" [مسلم، (٢٥٥٨)]، وجاء -أيضاً- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمته وصلها" [البخاري، (٥٩٩١)].

ومفاد الحديثين الدعوة إلى التواصل مع الأرحام والأقارب وإن كانوا هم السبب في حصول القطيعة والهجران، وأفاد ابن حجر (١٤١٤هـ، ١٤٠٧)، (٢٠/٤) أن الناس في صلة الرحم على ثلاث درجات: واصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يعطي ويتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في

الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يأخذ ولا يعطي، ويُفضل عليه ولا يتفضل.

٣. أنها تربي في الناشئة قيما أخرى مثل: الإحسان والتواضع ولين الجانب واللطف والتودد للقربات، وجاء التعبير النبوي اللطيف في مثل هذا فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمّ وخصّ فقال يا بني كعب بن لؤي أتقذوا أنفسكم من النار إلى أن قال: فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رجماً سائبلاً ببلاها" وذكر النووي (١٤٢٠هـ، ١/١٥٠) أن المعنى: سَاصِلُهَا، حيث شبه قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة.

٤. أن الإحسان إليهم بالصدقة فيه أجر مضاعف، كما جاء عن سلمان بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحْمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ" [صحيح الجامع، (٣٨٥٨)]، وكما جاء في حديث أبي طلحة رضي الله عنه أنه قال: إن أحب أموالي إليَّ بَيْرُحَاءٌ، وإها صدقة لله، أرجو برّها ودُخْرُهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتُ، فقال ﷺ: "بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ" قال: أَفَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. [سبق تخريجه].

٥. ومن لطائف الآثار التربوية لصلة الرحم ما جاء من حث الرسول الكريم ﷺ على الإحسان إلى القريب الذي يضرر البغض أو العداوة، لعل ذلك أن يكون سبباً في تطيب خاطره وإزالة ما به من بغضاء وكره، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الصدقات أيها أفضل فقال: على ذي الرحم الكاشح" [صحيح الترغيب، (٨٩٤)].

سادسًا: قيمة تعليم العلم ونشره

بالعلم يرفع المسلم الجهل عن نفسه ويطيع ربه ويعبده على بصيرة، ويسلك سبيل الأنبياء ﷺ وذلك بتعلم العلم وتعليمه ونشره والدعوة إلى سبيل الله ﷻ، وإنما تسود الأمم وتسمو بالعلم وتحقيق المعرفة وانتشار التعليم بين أبنائها.

مفهوم قيمة تعليم العلم ونشره

العلم في اللغة:

ضد الجهل قال الرازي: (١٩٩٧م، ٢٠٠) عَلِمَ الشيء أي عرفه، فالعلم هو المعرفة، وأشار ابن منظور (٢٠٠٥م، ١٠/٢٦٣) إلى أن التعليم في اللغة أصله من الفعل عِلِمَ، والعلم ضد الجهل، والتعليم مصدر للفعل عِلِمَ تعليمًا مثل درس تدريسًا.

العلم في الاصطلاح:

تنوعت تعاريفه في كتب أهل العلم، حتى قال بعضهم: إن مصطلح العلم مستغن عن التعريف، وأود الجرجاني (١٤١٣هـ، ص ١٩٩) للعلم معنىً جامعًا فقال هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل هو إدراك الشيء على ما هو به. والمعنيان متقاربان، وعلى ذلك فإن العلم يقتضي أن يكون المعلوم صحيحًا مجزومًا به مطابقًا للواقع.

والمراد بنشر العلم:

تعليمه وبذل المال في ذلك والمساهمة في خدمته بشق السبل.

قيمة تعليم العلم ونشره في أحاديث الوقف:

طلب العلم من أجل القربات ومن أعظم الطاعات، وما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم قال ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وبين ﷺ مكانة أهل العلم وعلو قدرهم فقال ﷺ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة: ١١].

ومما يدل على شرف أهل العلم ومكانتهم أن الله ﷻ رضيهم شهودًا على وحدانيته، وعطف شهادتهم على شهادته وشهادة الملائكة الأبرار، فقال ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، قال ابن كثير: (١٤٢١هـ، ص ٢١٠) وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (صحيح الجمع، ٢٦٩٧).

وإن أشرف العلوم وأزكاها تعلم كتاب الله ﷻ وتعليمه، فعن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [البخاري (٥٠٢٧)].

ولقد جاء التأكيد في أحاديث الوقف على هذه القيمة العظيمة، مما يدل على أهميتها وتأكيدها في حياة المسلم:

ففي حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بِمَا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عُلِّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ تَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ». [سبق تخريجه].

فبدأ الرسول ﷺ بذكر العلم والتعليم ونشر العلم، وأنه من أوائل ما يلحق المسلم من الأعمال بعد انقضاء أجله وفراقه للدنيا.

كما جاء في هذا الحديث الإشارة إلى العناية بكتاب الله ﷻ في قوله "ومصحفًا ورثته"، ومن ذلك وقف المصاحف، كأن تطبع وتوزع وتنشر بين المسلمين، فينال واقفها

أجر من يقرأ فيها، وبين القدومي (١٤٣٦ هـ، ص ٣٨): أن ذلك يكون بنسخ المصاحف، كما كان في العهود السابقة وطباعتها ونشرها ووقفها في المساجد والمستشفيات وأماكن الانتظار والتجمعات.

كما جاء كذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله، ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا فهو يدعو له [سبق تخريجه].

وفي قوله ﷺ: "ومن علم علماً أجري له عمله ما عمل به" إشارة إلى معنى تربوي لطيف وهو: أهمية أن يمثل الإنسان ما تعلمه من العلم وأن يطبقه في حياته العملية. وأكد القدومي (١٤٣٨ هـ، ص ٢٩) أن الناس ما زالوا يذكرون علماء ماتوا من مئات السنين ويترحمون عليهم ويدعون لهم بعد أن تركوا علماً ينتفع به منذ أكثر من ألف عام، وكلما كان العلم أكثر نفعاً وأوسع انتشاراً كان أعظم ثواباً.

ومن أجل أحاديث الوقف وأشهرها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" [سبق تخريجه].

وفي هذه الأحاديث بمجموعها إشارة إلى معنى لطيف يتعلق بالعلم، وله اتصال بالبحال التربوي وهو: تقييد العلم بالعلم النافع، سواء أكان من علوم الدين أو من علوم الدنيا النافعة، كالطب والهندسة وغيرها، لذا فإننا نجد أن السلف رضي الله عنهم أوقفوا أوقافاً عديدة على العلوم الطبية وغيرها.

وأشار السرجاني (٢٠١٢ م، ص ٩٤) إلى اهتمام الدولة العباسية بالوقف وذلك بشراء كتب كبار علماء الطب ووقفها في البيمارستانات (المستشفيات) العامة ليستفيد منها صغار الأطباء في وصف الأدوية الناجعة، وذكر أمثلة كثيرة على ذلك.

الآثار التربوية لقيمة تعليم العلم ونشره:لهذه القيمة آثار تربوية عظيمة منها:

١. أن تعليم العلم ونشره يقود إلى معرفة آداب العالم والمتعلم، بحيث يتعلم الطالب كيف يتعامل مع معلمه وأستاذه؟ وكيف يكون حاله في الدرس؟ وكيف يتعامل مع كتابه الذي يقرأ فيه ويتعلم منه؟ ونحو ذلك من الآداب، مما يكون له أثره على سلوكه وأدبه.
٢. أن ذلك يساهم في تعلّم وتعليم ما يجب على المسلم من تهذيب النفس وتركيب الأخلاق، وصيانة العلم والحفاظة على شرف العلم.
٣. كما أن العلم يورث الخشية والخوف من الله ومراقبته فإن نشره كذلك، وأفاد السدحان (١٤٢٠هـ، ص ١٣) أن الله ﷻ مدح حاملي العلم فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾ [فاطر: ٢٨]، وخصّ العلماء بالخشية لأنهم أعرف الناس بالله، وكلّما كان العبد بربه أعرف كان له أرجى ومنه أخوف.
٤. ومن الآثار التربوية كذلك أن المتعلم كلما زاد علمه أدرك أن ما فاته من العلم وما جهله أوسع مما علمه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبين الشنقيطي (١٤٢٦هـ، ص ٥٠٠): أن الله ﷻ ما أعطى خلقه من العلم إلا قليلا بالنسبة إلى علمه ﷻ.
٥. أن يدرك المتعلم أهمية العمل بالعلم، وامتنال ما يتعلمه ويعلمه وينشره، وقد أرشد ﷻ المؤمنين إلى ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ ﴿

[الصف: ٢-٣]، وذكر السعدي (١٤٢٤هـ، ص ٨٢١) أن ترك العمل بالعلم حالة ذميمة لا تليق بالمؤمنين، وأنها من أكبر المقت عند الله ﷻ.

٦. أن نشر العلم وتعليمه أداء للواجب الذي فرضه الله ﷻ وأوجبه على أهل العلم،

كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

فَبِشْ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٧. أنه يورث صاحبه التواضع واللين، فمهما بلغ المرء من الدرجة العلمية، والمكانة

المجتمعية بكونه أصبح في مقام المعلم والموجه، فإن ذلك يدفعه إلى خفض الجناح

ولين الجانب، واستشهد السعدي (١٤٢٤هـ، ص ٤٥٧) بقصة موسى ﷺ مع

الخضر على تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى بلا شك أفضل من

الخضر.

٨. أن العلم قرين التزكية، وهو الداعي إليها، كما قال ﷻ واصفًا رسوله محمدًا ﷺ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا

عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وأفاد السعدي

(١٤٢٤هـ، ٢٥٧) أن معنى يزكيهم أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم

وجاهليتهم.

سابقاً: قيمة الحث على العمل

دين الإسلام دين شامل وكامل، ويدعو إلى إعمار الدين والدنيا، وإلى تحقيق التوازن بينهما كما قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَمَرَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧]، ومن ذلك الحث على العمل والاكتساب، والسعي في الأرض وطلب الرزق.

مفهوم قيمة الحث على العمل:

العمل في اللغة:

قال ابن منظور (٢٠١٣م، ص ١٢٠) العمل هو: المهنة والفعل، وقد يطلق لفظ العمل على تصرفات وسلوك الإنسان.

العمل في الاصطلاح:

أفاد القرشي (١٩٦٢م، ص ٥٥) أن الاصطلاح العام للعمل هو: كل ما يصدر من فعل أو حركة ظاهرة عن أي جسم سواء بإرادة أو بغير إرادة.

إن المفهوم الحديث للعمل هو أنه:

كلّ جهد يُشبع حاجة أو يخلق منفعة، سواء أكان هذا العملُ عملَ كاتب، أو عملَ طبيب أو مهندس أو مدرّس، أو عملَ فلاح أو سائق قطار أو عامل في مصنع أو غيرها. شيخة آل نهيان (١٠١٢م ص ٣).

وقد جاء ورود العمل في القرآن الكريم على معنيين:

أحدهما: العمل في معناه الديني، والمراد به فعل الطاعات والقربات واجتناب المعاصي.
الثاني: العمل في معناه العام والمراد به طلب الرزق والسعي في الأرض، وهذا هو المعنى المقصود في هذه القيمة.

قيمة الحث على العمل في أحاديث الوقف:

جاءت شريعة الإسلام بالحث على العمل والاكتساب، والسعي في الأرض والمشى في مناكبها طلباً للرزق، فالإسلام يدعو إلى العمل ويشيد به، ولم يفرق بين كونه عملاً في المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري، بل أبواب العمل ومجالاته كلها مفتوحة للإنسان، فكل عمل يبلغ بالإنسان غاية ويحقق له نفعاً من غير أن يؤذيه، أو يؤذي الناس، هو عمل يركبه الإسلام ويجزي عليه الجزاء الحسن. شيخه آل نهيان (٢٠١٢م، ص ٥).

لقد دعا الإسلام إلى التجارة براً وبحراً طلباً للرزق، فقد قال ﷺ في كتابه الحكيم: ﴿إِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

كما رفع الإسلام من قيمة الزراعة، وشجّع الناس عليها ووعدهم بثواب عظيم، ذلك لأنهم يعملون الأرض ويستخرجون خيراتها، ويفيدون العباد، فقد قال ﷺ في كتابه الكريم: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ أَلَمْبَتُهُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [٣٣] وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ [٣٤] لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ [٣٥]﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

وبين الطبري (٢٠٠٠م، ١٢/١٤٤) في تفسير الآية أن المعنى: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمر الجنات التي أنشأناها لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا وزرعوا، وفي قراءة عبدالله (ابن مسعود) "ومما عملته" بالهاء على هذا المعنى.

كما جاء ذكر العمل في المجال الصناعي في القرآن الكريم حيث يقول ﷺ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

هكذا نجد أن الدين الإسلامي لم يفرّق بين مجال وآخر، مادام لا يقع أي منها تحت بند التحريم، وقد كان رسول الله ﷺ يمثل الأسوة الحسنة في ذلك، حيث تؤكد سيرته على قيامه بعلف البعير، وخصف النعل، ورقع الثوب، وأكله مع الخدم، كما كان ﷺ يحمل بضاعته من السوق لأهله [ابن هشام، ١٩٩٤هـ، ص ٥٦].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون في شتى المجالات، ومما ذكره الأبراشي (١٩٦٤م، ص ٢٩) أن أبا بكر رضي الله عنه كان بزازاً يبيع الثياب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمساراً، وكان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يشتغلان بالتجارة، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه جزاراً، وغيرهم من أصحاب محمد ﷺ.

ويتضح من كل ما سبق أن مفهوم الإسلام للعمل كان شاملاً، فكل جهد وعمل مشروع مادي أو معنوي هو مجال عمل يحثّ عليه الإسلام، ويثيب على القيام به.

وجاءت الإشارة إلى هذه القيمة الجليلة في أحاديث الوقف في عدة مواضع فمنها:

١. المشاركة في البناء والتشييد للمساجد، حيث جاء في حديث عثمان رضي الله عنه قوله ﷺ: "من بنى مسجداً يتغى به وجه الله ﷻ .."، كما جاء في قصة بناء المسجد النبوي أنه ﷺ شاركهم بالأمر والتوجيه، وشاركهم بالعمل والبناء، وشاركهم كذلك بالتحفيز والتشجيع والدعاء، ومما جاء في حديث أنس قوله ﷺ: "قَامَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَنَبَّشَتْ، ثُمَّ بِالْحَرْبِ فَسَوَّيْتُ، وَبِالنَّحْلِ فَقَطَّعَ، فَصَفَّوْا النَّحْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عَصَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ»." [البخاري، (٣٩٣٢)، مسلم، (٥٢٤)].

٢. غرس الأشجار وزراعة الزروع فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْهَمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» [البخاري، (٢٣٢٠)، مسلم، (١٥٥٢)].

٣. حفر الآبار واستخرج المياه، وإكراء الأنهار والمراد به حفرها وتعديل مجاريها كي يستفيد منها الناس، فعن قتادة عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَبْعَ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَزَّعَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ". [سبق تخريجه].

فحث ﷺ في هذا الحديث على عدة أعمال يزاولها المسلم بيده، فينفع نفسه وينفع مجتمعه من حوله، مثل حفر الآبار وإصلاح الأنهار وغرس النخيل والأشجار، وجاء الترغيب في مثل هذه الأعمال وبين ﷺ أنها من الأعمال التي يستمر أجرها ويدوم ثوابها، وجاء كذلك في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بَيْنَا رَجُلٌ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ؛ لِلَّاسِمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: لِئَنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ؛ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتُ هَذَا، فَلِئَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ". [مسلم، (٢٩٤٨)].

وفي الحديث بيان لعمل هذا الرجل الصالح بيده وأنه يزاول عدة أعمال

وهي:

أ- "يحوِّل الماء بمسحاته".

ب- ثم يبيِّن أيضا ما يقوم به من بذل الصدقة بثلث ريعها.

ج- وأنه ينفق على عياله الثلث.

د- ثم هو أيضاً يرد فيها الثلث فيعمل على استثمارها وتنميتها.

ومجموع هذه الأعمال أوجبت له هذه الكرامة بأن يخص اسمه بالذكر، ويأمر الله ﷺ السحابة أن تسقي حديقته على وجه الخصوص.

٤. ومن الأعمال التي وردت في أحاديث الوقف ولاية الوقف والنظارة عليه والقيام بشؤونه والسعي في تنميته وتحقيق مصلحته، وما جاء في وقف عمر رضي الله عنه أنه قال «لَيْسَ عَلَى الْوَلِيِّ جُنَاحٌ أَنْ يَأْكُلَ وَيُؤْكَلَ صَدِيقًا لَهُ غَيْرَ مُتَأْتِلٍ مَالًا» فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه «هُوَ يَلِي صَدَقَةَ عُمَرَ، يُهْدِي لِنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ» [البخاري، (٢٣١٣)].

ومن الأعمال التي زاوها عبد الله بن عمر رضي الله عنه: الإشراف على وقف والده وولايته وصرفه في مصارفه التي حددها الواقف (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، ومنها أنه كان يهدي لأناس من أهل مكة من ريع الوقف، كما جاء في وقفية عمر رضي الله عنه ذكر بعض المصارف، وهي: الفقراء وفي القرى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف.

الآثار التربوية لقيمة الحث على العمل:

لهذه القيمة آثارها التربوية المهمة ويتضح ذلك مما يلي:

١. أنها علامة على صدق توكل المسلم على ربه؛ بأن يجمع بين التوكل على الله ﷻ، وبذل الأسباب المؤدية إلى الرزق، أما إدعاء التوكل دون العمل فيسمى تواكلاً؛ لذا فقد أرشد النبي ﷺ الأعرابي لما سأله عن ناقته فقال: أيرسلها أم يتوكل؟ فقال له ﷺ: "اعقلها وتوكل" [ابن حبان، (٧٣١)].

٢. أن العمل والسعي لكسب الرزق يساهم في إعمار الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض، حيث خلق الله أبانا آدم ﷺ وجعله خليفة في الأرض، قال الله ﷻ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، كما جعل الله ﷺ ذرية آدم من بعده خلائف قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وهو استخلاف مؤقت إلى حين لقوله ﷺ: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤].

٣. أنها تحقق التوازن في النفس البشرية، وتكسب المرء ثقة في نفسه وقدراته وتغرس في نفسه روح الإنجاز وتهذبها.

٤. أنها تجعل المرء المسلم يستغني عن تكفف الناس وطلب الحاجة منهم وذل السؤال لهم، لذا فقد نهي النبي ﷺ القادر عن السؤال وبين أن المسألة لا تحل له، وقد جاء أن رجلين أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه فرفع فيهما البصر وخفضه فراهما جلدين، فقال: إن شئتما أعطيتكما ولا حظاً فيها لغني ولا لقوي مكتسب" [أحمد (٢٦٧/١)].

٥. أنها تبعث في النفس التفاؤل ببناء المستقبل، والاعتماد على الذات وتحقيق الطموح، وعدم اليأس أو القنوط.

٦. تجعل يد المسلم العامل يداً عليا وهي التي تنفق في سبيل الله ولا تحتاج من أحد شيئاً، وهذا المعنى أشار إليه النبي ﷺ في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة والتعفف والمسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة" [البخاري (١٤٢٩)].

٧. أنها ضمان - بإذن الله - لمعيشة المسلم وكرامته وتمايم مروءته، فيستغني بالعمل عن سؤال الناس، ويكرم نفسه عن الهوان والذل لهم، إذ عادة الناس أن يستهينوا بمن يحتاج إليهم؛ لذا جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفذ ما عنده، فقال لهم حين نفذ كل شيء أنفق بيدي: "ما يكون عندي من خير لا أدخره عنكم، وإنه من يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يغنيه الله، ولن تعطوا عطاءً خيراً وأوسع من الصبر" [البخاري، (٦٤٧٠)].